

خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز
الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بتاريخ ١٠/٩/٢٠٢١م
في المسجد المبارك بإسلام آباد، بريطانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان
الرجيم. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ﴾، آمين.

كان الحديث سابقا يجري حول عهد خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه وحول الحروب في زمنه. يتبين من مطالعة
كتب التاريخ أن محاصرة دمشق طالت في عهد أبي بكر رضي الله عنه إلى عدة أشهر، وبعد وفاته بفترة وجيزة نال
المسلمون الفتح في هذه الحرب. ولكن لما كانت قد بدأت في زمن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه لذا سأتناول تفاصيلها
في أثناء البيان عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه. والآن سأسرد أحداثا وقعت بعد فتح دمشق.

فبعد فتح دمشق بعث أبو عبيدة خالد بن الوليد إلى البقاع ففتحها بالسيف. (البقاع منطقة مترامية الأطراف
بين دمشق وبعليك وفيها بلدات كثيرة) وبعث سرية فالتقوا مع الروم بعين ميسنون، وعلى الروم رجل
يقال له "سنان" تحدر على المسلمين من عقبة بيروت فقتل من المسلمين يومئذ جماعة من الشهداء فكانوا
يسمون "عين ميسنون" عين الشهداء. واستخلف أبو عبيدة على دمشق يزيد بن أبي سفيان كما وعده
بها الصديق. وبعث يزيد دحية بن خليفة إلى تدمر في سرية ليمهدوا أمرها. (تدمر مدينة أثرية قديمة ومعروفة
في منطقة الشام وتبعد عن حلب على مسافة خمسة أيام، وإن يزيد هذا كان ابن أبي سفيان رضي الله عنه)

وبعث أبا الزهراء القشيري إلى البثينة وحوران فصالح أهلها، (والبثينة قرية قرب دمشق، وحوران منطقة
واسعة جنوب دمشق وفيها قرى كثيرة وأراض زراعية). افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلها عنوة ما
خلا العاصمة "طبرية" فإن أهلها صالحوا. عاد خالد أيضا فاتحا أرض البقاع وصالحه أهل بعليك وكتب
لهم كتابا. (بعليك أيضا مدينة أثرية قديمة تقع على بعد ثلاثة أيام من دمشق كما جاء في كتب التاريخ،
علما أن السفر في تلك الأيام كان يتم على ظهور الأحصنة أو الجمال.

فحل مدينة فتحت في ١٤ من الهجرة، فكتب أبو عبيدة أنه علم أن هرقل نازل في حمص ويرسل الجنود
من هناك إلى دمشق، وأنا لا أدري بأي الأمرين أبدأ. (فحل أيضا مدينة في الشام) فجاء الجواب أن يبدأ
بدمشق فإنها حصن الشام وبيت مملكتهم، فانهذ لها واشغلوا عنكم أهل فحل بخيول تكون تلقاءهم، فإن

فتحتها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب، وإن فتحت دمشق قبلها فسِر أنت ومن معك واستخلف على دمشق، فإذا فتح الله عليكم فحل فسِر أنت وخالد إلى حمص واترك عمرا وشرجيل على الأردن وفلسطين. ففور استلام رسالة عمر رضي الله عنه بعث خالد بن الوليد عشرة من قادة الجيش، وأبرزهم أبو الأعور السلمي، إلى فحل، وقصد بنفسه إلى دمشق. ولما رأى جيش الروم المسلمين قادمين إليهم أطلقوا في الأراضي حولهم ماء من بحيرة الطبرية ونهر الأردن فصارت الأرض كلها وحلا وصعب عبورها.

على أية حال، الجيش الذي أرسله هرقل لنصرة أهل دمشق لم يصلهم، لأن الطرق كانت مقطوعة كلها بسبب إطلاق الماء، ولكن المسلمين صمدوا. وبالنظر إلى صمود المسلمين مال النصارى إلى الصلح وأرسلوا إلى أبي عبيدة أن يأتيهم شخص رسولا. فأرسل أبو عبيدة معاذ بن جبل الذي دعاهم إلى الإسلام فلم يقبلوا الدعوة. وقد عرض الرومان على معاذ بن جبل، إضافة إلى أمور أخرى، أنهم يمكن أن يعطوه محافظة البلقاء والمنطقة الملحقة بأراضي المسلمين من الأردن مقابل مغادرته بلادهم والذهاب إلى فارس. وذلك بعد أن كانوا قد جمعوا الجيوش بأنفسهم، ولكن عندما رأوا الهزيمة ماثلة أمام أعينهم قدموا هذا العرض. ولكن معاذ رفض العرض وعاد. ثم أراد الرومان التفاوض مع أبي عبيدة مباشرة فأرسلوا رسولهم لهذا الغرض. عندما وصل الرسول إلى مخيم المسلمين كان أبو عبيدة جالسا على الأرض، وبيده سهام يقبلها. ظن الرسول أن القائد يكون ذا شأن وجاه، ويكون معروفا بشوكته، ولكنه حينما ألقى نظره وجد الجنود جميعا على شاكلة واحدة. فسأل فرعا: من قائدكم؟ أشار الناس إلى أبي عبيدة، فاستغرب من الموقف كثيرا وسأل أبا عبيدة مستغربا: هل أنت القائد في الحقيقة؟ قال: نعم. قال: سنعطي كل جندي من جنودك دينارين بشرط أن تغادروا هذه المنطقة، ولكن أبا عبيدة رفض هذا العرض. فغضب الرسول وانصرف. وبالنظر إلى تصرفه أمر أبو عبيدة الجيش أن يعدوا عدتهم، وأن يكونوا على أهبة الاستعداد في كل الأحوال. وكتب عن الأحوال السائدة كلها إلى عمر رضي الله عنه، فسمح له عمر رضي الله عنه بالتقدم لأن جيوش الروم كانت في طور الاجتماع، وأوصاه بالثبات والصمود وطمأنه أن الله تعالى ناصره. أمر أبو عبيدة بالاستعداد في اليوم نفسه ولكن الروم لم يخرجوا للمبارزة. وفي صباح اليوم التالي ذهب خالد بن الوليد إلى الميدان مع الفرسان فقط. كان جيش الرومان أيضا مستعدا فنشبت الحرب بين الجيشين. ولما رأى القائد الرومي ثبات المسلمين فأيقن بأن الاستمرار في القتال عبث وأراد العودة. فنادى خالد بن الوليد بما معناه: لقد أخرج الرومان ما كان في جعبتهم، والآن جاء دورنا. عندها شن المسلمون هجوما مباغتاً وهزموا الجيش الرومي. كان النصارى يؤخرون القتال بأعداد منتظرين وصول النصرة. ولكن خالد بن الوليد أدرك كيدهم وقال لأبي عبيدة أن الرومان مرتعبون منا، وهذا هو الوقت المناسب لشن الهجوم عليهم. فأعلن فوراً أن يستعد الجيش

لشن الهجوم في الغد. فرتب أبو عبيدة في الهزيع الأخير من الليل صفوف الجيش الذي كان قوامه قرابة خمسين ألفاً.

يقول اثنان من مؤرخي سيرة عمر رضي الله عنه، وهما هيكل والصلابي أن عدد هذا الجيش كان من ثمانين ألفاً إلى مئة ألف. على أية حال، بعد قتال شديد إلى ساعة تقهقر جيش الرومان وهربوا مذعورين. فأمر عمر رضي الله عنه أن تبقى الأرض المفتوحة ملكاً لأصحابها ولن تُسلب من أحد أرضه، ولتُحْمَى حياة الناس وأموالهم وأراضيهم ومنازلهم ومعابدهم كلها. ولتؤخذ قطعة أرض للمسجد فقط إذا اقتضت الحاجة، أما بقية الأراضي فلتبقى عند أصحابها.

ثم يأتي ذكر فتح بيسان. فلما فرغ شرحبيل من وقعة فحل نهد في الناس ومعه عمرو إلى أهل بيسان فترلوا عليهم وأبو الأعور والقادة معه على طبرية (بيسان تقع على بُعد ١٨ ميلاً في جنوب طبرية) وقد بلغ أبناء أهل الأردن ما لقي الروم في دمشق وما بعدها من هزائم متتالية. وعلم الناس مسير شرحبيل إليهم ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو يريدون بيسان، وتحصنوا بكل مكان فسار شرحبيل بالناس إلى أهل بيسان فحاصروهم أياماً، ثم إنهم خرجوا عليهم فقاتلوهم فأناموا من خرج إليهم وصالحوا بقية أهلها. فقبل المسلمون ذلك على شروط صلح دمشق.

ثم يأتي ذكر فتح طبرية: لما بلغ أهل طبرية خبر فتح بيسان وعقد العهد صالحوا أبا الأعور على أن يبلغهم شرحبيل ففعل فصالحوهم وأهل بيسان على صلح دمشق على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها فيدعون لهم نصفاً، ويجتمعون في النصف الآخر، وعن كل رأس دينار كل سنة وعن كل جريب أرض.

ثم بعد ذلك أقام قادة المسلمين مع جنودهم في المناطق المأهولة، واكتمل صلح الأردن وسكنت جميع الكنائس الإمدادية الإسلامية في شتى بقاع الأردن، وأرسل الرسول بيشري الفتح إلى سيدنا عمر رضي الله عنه.

ثم كان فتح حمص في السنة الرابعة الهجرية. بعد فتح الأردن توجه أبو عبيدة رضي الله عنه مع جيوشه تجاه حمص وهي مدينة في الشام شهيرة ما بين دمشق وحلب، وكانت بالغة الأهمية حربياً وسياسياً، وكان بجمص هيكل كبير يزوره الناس من أماكن بعيدة، ويفتخرون ليكونوا من مجاوريه. باختصار، أراد الروم أن يخرجوا للقاء المسلمين بالقرب من حمص (أي أن الروم أنفسهم تقدموا لمحاربة المسلمين)، وخرجوا بعسكر كبير من حمص وتصدوا للمسلمين في مكان يدعى "جوسية"، ولكنهم هُزموا على أيدي المسلمين. وصل أبو عبيدة وخالد رضي الله عنهما إلى حمص وقاما بمحاصرتها، كانت الأيام أيام برد قارس.

وكان الروم موقنين بأن المسلمين لن يثبتوا في القتال في أرض فضاء طويلا، كما كانوا يأملون وصول المدد من قبل هرقل الذي كان أرسل جندا من الجزيرة، ولكن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي كان يقود الجنود على الجبهة العراقية أرسل جنودا للقاء الجند الروماني فأوقفوهم في الطريق. قال المؤرخون أن الروم كانوا لابسين أخفافا جلدية مع النعال، ومع ذلك كانت أقدامهم تصبح شبه مشلولة من شدة البرد، أما الصحابة أو الجنود المسلمون فما كانوا يلبسون إلا النعال. ولكن هرقل بعد أن أخبر أهل حمص عن المدد لرفع معنوياتهم للقتال ذهب إلى الروحاء. أغلق أهل حمص أبواب القلعة وظلوا ينتظرون متحصنين بها، وما كانوا يخرجون لقتال المسلمين إلا في يوم قارس جدا. كان الروم ينتظرون المدد من هرقل وآملين أن يهرب المسلمون بأنفسهم عاجزين أمام البرد القارس، ولكنهم ظلوا صامدين، ولم يصل أهل حمص أي مدد من قبل هرقل. ولما انقضت أيام البرد أيقن أهل حمص أن لا قبل لهم بقتال المسلمين، فالتمسوا الصلح، فقبل المسلمون طلبهم، وتركوا كل بيوت المدينة لأهلها، وتم الصلح على أن يؤدوا الخراج والجزية كما فعل أهل دمشق. أخبر أبو عبيدة سيدنا عمر رضي الله عنهما بالأحداث، فكتب عمر رضي الله عنه في الجواب: ابق حيث أنت، واجمع تحت لوائك القبائل العربية القوية بالشام، وسوف أظل أرسل لك المدد من هنا باستمرار إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة نفسها كانتوقعة بمرج الروم (ومرج الروم مكان بالقرب من دمشق). وكان من ذلك أن أبا عبيدة وخالد بن الوليد رضي الله عنهما سارا بمن معهما من "فحل" قاصدين حمص، فترلا على ذي الكلاع، وبلغ خبرهما هرقل، فبعث توذراً البطريق حتى نزل بمرج الروم غرب دمشق، ونزل أبو عبيدة بمرج الروم أيضاً ونازله. وكان فصل الشتاء قد دخل وكانت أجساد المسلمين مليئة بالجروح. ولما وصلوا إلى مرج الروم وصل هنالك شنس الرومي أيضاً، ونزل بجنوده قريبا من توذر. وكان شنس إنما جاء لنصرة توذر ولحماية أهل حمص، فترل بجنوده على طرف من ذلك المكان.

ولكن لما جن الليل سار توذر القائد الرومي الآخر من هنالك متوجها إلى دمشق، وخلت تلك الجبهة بذهابه. كان خالد بن الوليد متصديا لتوذر وكان أبو عبيدة متصديا لشنس. وعندما بلغ خالد أن توذر سار نحو دمشق اتفق خالد وأبو عبيدة رضي الله عنهما على أن يخرج خالد وراء توذر. فسار خالد وراءه في كتيبة من الفرسان في نفس الليلة نفسها. وبلغ يزيد بن أبي سفيان ما فعل توذر، فاستقبله فاقتتل الجندان. ولحق بهم خالد بجنوده أيضا وهم يقتتلون، فأخذ توذر وجنوده من خلفهم، وحصدهم حصادا من أمامهم ومن خلفهم، ولم يفلت منهم إلا الشريد. وغنم المسلمون كل ما كان مع الأعداء من راحلة وسلاح

ولباس وغيرها، فقسمه يزيد بن أبي سفيان في أصحابه وأصحاب خالد. ثم عاد يزيد إلى دمشق ورجع خالد إلى أبي عبيدة.

علماً أن يزيد هذا هو غير يزيد ذي الشهرة السيئة في تاريخ الإسلام والذي كان ابن معاوية، أما يزيد هذا فهو ابن أبي سفيان.

قتل خالد بن الوليد رضي الله عنه توذراً للقائد الرومي. وكان أبو عبيدة بعد مسير خالد وراء توذر تصدى لشنش، فاقتتل الجندان بمرج الروم، فقتل المسلمون الروم مقتلة عظيمة، وقتل أبو عبيدة شنش. وامتلاً مرج الروم بجثث الروم حتى تعفن المكان. ولم يسلم من الروم إلا من هرب وتشرّد، وتبعهم المسلمون إلى حمص. ثم سار أبو عبيدة بجيشه إلى حماة (وهي مدينة في الشام قديمة تقع إلى الشمال من حمص وشمال دمشق على مسافة خمسة أيام عندها)، فتلقاه أهلها مدعين. ولما سمع أهل شيزر بذلك تصالحوا أيضاً مع المسلمين على ما صالح عليه أهل حماة. (وشيزر كانت قرية تقع على بعد نصف يوم من حماة). ثم قام أبو عبيدة رضي الله عنه بفتح السلمية التي تقع على بعد يومين من حماة.

ثم كان فتح اللاذقية في العام الرابع عشر الهجري. توجه الجيش الإسلامي إلى اللاذقية بقيادة أبي عبيدة رضي الله عنه (واللاذقية مدينة شامية ساحلية، وتعدّ من ضواحي حمص) فلما رأى أهلها الجيش الإسلامي قادماً تحصنوا بحصنها وأغلقوا أبواب المدينة واستعدوا للقتال. وكانوا يظنون أنهم قادرون على قتال المسلمين رغم حصارهم لهم، كما كانوا يتوقعون المدد من هرقل عبر البحر.

حاصر المسلمون المدينة التي كانت محصنة جداً، وكانت شهيرة بنقط تفتيش هنا وهناك. كان أبو عبيدة رضي الله عنه قائداً محنكا خبيراً بحيل القتال، فلجأ إلى حيلة بارعة لفتح المدينة، بعد أن أدرك أن فتحها ليس سهلاً أبداً، وأنه لو ظل معسكراً ومحاصراً لها فسوف يطول الحصار كثيراً، وقد يصل المدد إلى العدو خلال هذه الفترة، فيضطر للعودة خائباً، أو سيستحيل عليه المسير إلى أنطاكية إذا طال حصاره للمدينة. فحفر ذات ليلة حفراً كبيرة تستر الحفرة منها الفارس راكباً، وغطاها بالكأ والحشيش، ثم -تظاهر المسلمون أنهم عائدون وراحلون إلى حمص. فلما رأى أهل المدينة فك الحصار فرحوا واطمأنوا وفتحوا أبواب المدينة. فلما جن عليهم الليل عاد أبو عبيدة رضي الله عنه بجنوده واستتروا في تلك الحفائر التي كانت كالمغارات.

وفي الصباح عندما فتح الناس أبواب المدينة فلم يرعهم إلا والمسلمون قد استولوا على أبوابها. ففر الذين كانوا خارج الحصن ونجوا، أما الذين كانوا داخل المدينة فأخذهم الذعر وبدأ كل واحد منهم يبحث عن مخرج للنجاة، فلم يبق أمامهم إلا الإذعان والاستسلام. فتصالحوا، ومن هرب منهم طلب الأمان أيضاً، ودخل المسلمون المدينة وملكوها عنوةً.

فصالحهم أبو عبيده بن الجراح رضي الله عنه على خراج يؤدونه، وترك لهم كنيستهم، وبنى المسلمون بالقرب منها مسجداً. وبعد هذا الفتح منع سيدنا عمر رضي الله عنه المسلمين من المزيد من التقدم في تلك السنة.

ثم كان فتح مدينة قنسرين في العام الخامس عشر الهجري. أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى قنسرين (وهي مدينة مزدهرة بولاية حلب، ويقع حصنها بين الجبال في الطريق إلى حلب). فلما نزل خالد بن الوليد بجنوده "الحاضر" (وهو مكان بالقرب من حلب) زحف إليهم الروم وعليهم ميناس. كان ميناس رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل، فواجه المسلمون أهلها ومن عندهم من نصارى العرب، وكان من تقاليد العرب أنهم أحياناً كانوا لحراسة المدينة يخرجون منها ويخيمون خارجها، وهكذا كان هؤلاء النصارى العرب قد خيموا خارج المدينة. لقد قتل خالد جزءاً كبيراً من جيش الروم بعد معركة دامية، وقتل أميرهم ميناس، وأما الأعراب فإنهم اعتذروا إليه وقالوا بأن هذا القتال لم يكن عن رأينا، فقبل منهم خالد وكف عنهم، ثم خلص بعض الروم إلى قنسرين فتحصنوا فيها، فتبعهم خالد، ولكن لما وصل إلى قنسرين كان الروم قد أغلقوا أبواب المدينة، فأرسل لهم خالد رسالة قائلاً: إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا. لقد بقي هؤلاء متحصنين لعدة أيام ولكن في نهاية المطاف أيقن أهل قنسرين ألا منجى لهم، فطلبوا أن يصالحوهم على صلح حمص، فأبى خالد إلا على عقابهم لمخالفتهم أمره، فلم يرض إلا على إخراج المدينة فأخربها. فترك أهل قنسرين أموالهم وعقارهم وسلموا أهلهم وعيالهم إلى ما قدر لهم وهربوا إلى أنطاكية. فلما بلغ أبو عبيدة بن الجراح قنسرين وجد قرار خالد بن الوليد موافقاً لمقتضيات العدل فهدم حصن المدينة وجدرانها، ولكنه شعر بعد ذلك أن تتم معاملتهم بالرأفة والشفقة أيضاً إضافة إلى العدل، أي قد تمت معاملتهم بالعدل أولاً ولكن الآن ينبغي أن يعاملهم المسلمون بالشفقة أيضاً، فأعطوا لأهل المدينة الأمان بحسب طلبهم، فتم توزيع البيوت فأعطي لهم نصفها وسلمت لهم كنيستهم وسيطر المسلمون على نصف البيوت.

وفي رواية أن المسلمين أخذوا من المدينة قطعة أرض لبناء المسجد وتركوا البقية لهم. أما الذين كانوا قد هربوا إلى أنطاكية فقد رجعوا أيضاً بعد قبولهم أداء الجزية. لقد عومل أهل هذه المنطقة بمعاملة حسنة كباقي المناطق المفتوحة، وأقيم العدل فيهم على أسس المساواة بحيث لم يكن لقوي أن يظلم ضعيفاً ويمارس عليه الجبر والإكراه.

ثم كان فتح قيسارية الذي تم في الخامس عشر للهجرة. وقيسارية مدينة ساحلية في الشام وهي تبعد عن طبرية مسافة ثلاثة أيام. متى كانت وقعة قيسارية؟ هناك روايات متفرقة بهذا الخصوص منها أنها حدثت في العام الـ ١٥ الهجري، وفي رواية أنها حدثت في عام الـ ١٦ الهجري، وفي رواية ثالثة أنها وقعت في ١٩

للهجرة وفي رواية رابعة أنها حدثت في ٢٠ للهجرة. على أية حال لما كان أبو عبيدة يتقدم فاتحاً المناطق في شمال الروم كان عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة يحاربان جيوش الروم المتجمعة في فلسطين وكانا يحاولان هزمهم، ولكنه لم يكن أمراً سهلاً، لأن هذه الجيوش كانت قوية جداً لكثرة عددها وعتادها. وكان عليها قائدٌ روماني يدعى أرطوبون وكان هذا أدهى الروم وأبعدهم غوراً وأنكاهم فعلاً، ففكر أن ينشر الجيوش في أماكن شتى ليبقى زمام الحكم في يده هو، وإن انتصر العرب على بعض جيوشه فلا تتأثر بها جيوشه الأخرى المنتشرة في أماكن مختلفة، فقد وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء (أي القدس اليوم) جنداً عظيماً، وترك لحمايته جيوشاً في غزة وسبسطية ونابلس واللد ويافا، ثم جلس ينتظر قدوم جيوش المسلمين، وكان على يقين أنه قادر على الانتصار على العرب وتفريق قواهم. لقد شعر عمرو بن العاص بحساسية الأمر وأدرك أنه إذا تصدى المسلمون لأرطوبون بكل جيوشهم فستتوحد جيوش الروم وبالتالي لن يتمكن المسلمون من الانتصار عليهم، بل يمكن أن ينتصر عليهم الروم. فكتب إلى عمر فأمر يزيد بن أبي سفيان أن يرسل أخاه معاوية لفتح قيسارية وذلك حتى لا يصل إلى أرطوبون مدد عن طريق البحر. ثم كتب عمر إلى معاوية كما يلي:

أما بعد فإني قد وليتك قيسارية، فسر إليها، واستنصر الله عليهم وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا نعم المولى ونعم النصير. أي أن القوة لتجنب الإثم ولكسب الحسنة هي لله تعالى فحسب، الذي هو العلي العظيم وهو ربنا وهو ثقتنا ورجاؤنا وهو مولانا، نعم المولى ونعم النصير.

ورد في مجلة الفاروق: لقد أغار على قيسارية عمرو بن العاص قبل هذا في ١٣ للهجرة وحاصرها لمدة من الزمن دون أن يفتحها.

وبعد وفاة أبي عبيدة بن الجراح ولّى عمر يزيد ابن أبي سفيان مكانه وأمره بتولي مهمة قيسارية وأرسل معه جيشاً قوامه ١٧٠٠٠، فخرج يزيد وحاصر المدينة، فلما مرض في ١٨ الهجري عين أخاه معاوية قائماً بالأعمال ورجع إلى دمشق حيث توفي.

قيسارية بلد على ساحل بحر الشام تُعدُّ في أعمال فلسطين، ولكنها أرض خربة اليوم مع أنها كانت مدينة عظيمة في ذلك العصر. يقول البلاذري كان فيها ثلاثمئة سوق وقتها وكان جيش رومي كبير يقوم بجراستها، وكان فيها حصنهم المتين والخطير. فلما بلغ معاوية قيسارية حاصرها. أخذ الروم يخرجون لمهاجمة الجيش الإسلامي ولكنهم سرعان ما كانوا يعودون منهزمين. فلما طالت المحاصرة خرجوا بنية القتل والفصل ولكنهم تلقوا شر هزيمة إذ قتل ٨٠٠٠٠ منهم في ميدان الحرب وبلغ عدد قتلاهم مئة ألف

عند فرارهم بعد الهزيمة. بعد فتح قيسارية ودمار جيشها اطمأن المسلمون من ناحيتهم وبقوا في منأى عنهم، وهكذا انسدت طريق إمداد الروم. أرسل معاوية الخمس من الغنائم إلى عمر مع خبر فتح قيسارية. وفي رواية جاء رجل يهودي يدعى يوسف إلى معسكر معاوية ودلّه على نفق يصل إلى بوابة القلعة داخل المدينة، فتسللت مجموعة من المُقاتلين عبر ذلك النفق وفتحوا البوابة فدخل منها الجيش الإسلامي وتم الفتح.

كان عبادة بن الصامت صحابياً بديراً وكان مشتركاً في هذه المعركة، وتُذكر قصة شجاعته في وقعة قيسارية أنه كان على ميمنة جيش المسلمين في حصار قيسارية، فقام ﷺ بوعظ جنده ودعاهم إلى تفقد أنفسهم، والحيلة من المعاصي ثم قاد هجوماً قتل فيه كثيراً من الروم، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه، فعاد إلى موقعه الذي انطلق منه، فحرض أصحابه على القتال، وأبدى لهم استغرابه الشديد لعدم تحقيق أهداف ذلك الهجوم فقال: يا أهل الإسلام إني كنت من أحدث النقباء سناً وأبعدهم أجلاً وقد قضى الله أن أبقاني حتى قاتلت هذا العدو معكم.. والذي نفسي بيده ما حملت قط في جماعة من المؤمنين على جماعة من المشركين، إلا خلوا لنا الساحة (أي انتصرنا عليهم) وأعطانا الله عليهم الظفر، فما بالكم حملتم على هؤلاء فلم تزيلوهم؟ ثم بين لهم ما يخشاه منهم فقال: إني والله لخائف عليكم خصلتين، أن تكونوا قد غللتم، أو لم تناصحوا الله في حملتكم عليهم، (أي ليس فيكم إخلاص حين هاجمتموهم) وحث أصحابه على طلب الشهادة بصدق، وأعلمهم أنه سيكون في مقدمتهم وأنه لن يعود إلى مكانه، إلا أن يفتح الله عليه أو يرزقه الشهادة. فلما تصادم الرومان والمسلمون قفز سيدنا عبادة بن الصامت من حصانه وصار راجلاً، وحين رآه عمير بن سعد الأنصاري راجلاً أشاع خبر قتال أمير الجيش راجلاً، وقال **إنه** ينبغي أن يقتدي به الناس كلهم. كانت معركتهم مع الرومان شديدة، فهزموهم فهربوا وتحصنوا في المدينة، ففتح العرب غزة أيضاً كما فتحوا قيسارية، وكان المسلمون في العهد الصديقي أيضاً قد فتحوا غزة إلا أنهم أخرجوا من هناك لاحقاً، فلما صارت هاتان المنطقتان الحدوديتان تحت سلطة المسلمين اطمأن حضرة عمرو بن العاص من ناحية البحر.

بيان هذه الأحداث سيستمر مستقبلاً. أما الآن فأريد أن أذكر بعض المرحومين وأصلي عليهم جنازة الغائب بعد صلاة الجمعة.

وأول من أذكره اليوم السيدة خديجة زوجة المولوي محمد علوي المحترم الداعية الإسلامي الأحمدية في كيراله سابقاً، فقد توفيت قبل أيام عن عمر يناهز ثمانين حولاً، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان والدها السيد كهني محيي الدين من أوائل الأحمديين في كيراله، وكانت المرحومة قد وفقت في عمر صغير لقبول الأحمدية،

فكانت صابرة وشاكرة وتداوم على الصلاة والصيام، ومتدينة ومواسية الفقراء ومضيافة وقنوعة. كان زوجها المرحوم داعية أحمديا وكان بموجب عمله يبقى أياما كثيرة خارج البيت في الجولة، ولم تشك قط بل ظلت شاكرة لله ﷻ. تركت ابنين وخمس بنات، كانت منخرطة في نظام الوصية، كان ابنها الأكبر السيد محمود داعية إسلاميا أحمديا وتوفي جراء الفشل الكلوي عن عمر يناهز أربعة وخمسين سنة، وابنها الأصغر أيضا داعية، وزوجت بناهما الخمس أيضا الدعاة الأحمديين. رحمها الله وغفر لها.

الذكر التالي اليوم للسيد ملك سلطان رشيد خان من كوت فتح خان وكان أمير الجماعة في أتك سابقا، وتوفي في الليلة بين الثاني والعشرين والثالث والعشرين من أغسطس، إنا لله وإنا إليه راجعون. كان المرحوم بفضل الله منخرطا في نظام الوصية. كان والد اللواء ملك سلطان محمد خان قد بايع على يد سيدنا المصلح الموعود في عام ١٩٢٣ يوم كان عمره ثلاثة وعشرين عاما، وكان أحمديا وحيدا في عائلته. وزوجه سيدنا المصلح الموعود ﷺ من السيدة عائشة صديقة ابنة شودري فتح محمد سيال ﷺ. كان اسم جد المرحوم ملك سلطان سرخرو خان، وكان يُمنح كرسيًا في بلاط الملك الإنجليزي وكان له مكانة خاصة في البلاط، ووفق لقبول الأحمديّة بعد أربع سنوات من بيعه ابنه السيد ملك سلطان محمد خان.

لقد خدم المرحوم ملك سلطان رشيد خان بصفته أميرًا للجماعة في محافظة أتك من عام ١٩٩٦ إلى ١٩٩٩ أولا ثم من ألفين وخمس إلى ألفين وأربعة عشر، وكان رئيس الجماعة في كوت فتح خان عند الوفاة. وكان من أقارب مير محمد خان الحاكم السابق لباكستان الغربية، وكانت عائلته غارقة في المادية، أما والد المرحوم فصحيح أنه لم يتنح عن الدنيا نهائيا إلا أنه أثر الدين على الدنيا دوما، وهذه الميزة كان يتميز بها ملك سلطان رشيد خان أيضا. حيث أوصى بتبرع العشر، ولاحقا جعلها السبع، وقدم التبرع على عقاره أيضا. أعتقد أنه كان يدفع على العقار بنسبة العشر وعلى بقية دخله بنسبة السبع. تقول أخته راشدة سيال: لقد كتب إلي مرة سيدنا الخليفة الرابع رحمه الله: كان والدك سيفًا مسلولا من أجل الأحمديّة وإخوتك أيضا يتصبغون بتلك الصبغة. ثم قالت عن ملك رشيد خان المرحوم: كان أخي وثيق الصلة بالخلافة، إذ كان يلي كل نداء لخليفة المسيح فورا، فقد ظل بفضل الله خادما يثق به الخليفة، وظل يخدم الجماعة بكل شوق، وكان رجلا روحانيا جدا، كل من رآه أيقن أنه لا علاقة له بالدنيا، فكان متواضعا جدا وكانت له علاقة قوية بالله ﷻ لكنه لم يكن يتكلم عن ذلك كثيرا، فكان يدعو للجميع ليل نهار، من الأصدقاء والأقارب والآخرين. فلم يعد أي صديق أو قريب أو غيرها من بيته خالي اليدين، وكثيرون استغلوا سخاءه أيضا، ولم يكن يرد أحدا. كتبت إحدى السيدات أن ابنة أختها جاءتها وقالت كيف ستعيش العائلات التي كانت تعيش على نفقة المرحوم سلطان رشيد فقط فهو الذي كان يُطعمهم. فكم

كان سخيا! لا أحد يدرك بذلك إدراكا صحيحا. ذات يوم سألته ابنة أختي إنك تخدم الناس كثيرا فهل سوف يقدرونك ويذكرونك؟ فقال قد لا يذكرونني لكنني أبتغي بذلك رضوان الله.

تقول إحدى أخوات المرحوم السيدة نعيمة: كان أخي مولعا بنشر الدعوة كثيرا، فقد اهتديت به كثير من الأرواح السعيدة، فكان يبلغ كل زائر دعوة المسيح الموعود عليه السلام. كان أصدقاؤه غير الأحمديين يأتونه عادة ليلا وكان يناقشهم حول وفاة المسيح لعدة ساعات، مع أنه كان ذلك خطرا عليه، وكانت لعبادته صبغة متميزة، حيث كان يناجي ربه وحده في غرفة مغلقة، وكان الله ﷻ قد أكرمه بالرؤى والكشوف أيضا. ذات مرة ذهب إلى مدينة ابيت آباد في الصيف فتعرض هناك لضائقة مالية مفاجئة، ولم يكن يملك غير الدعاء. وصباحا خرج للمشي وحين مر من أشجار مكثفة، سمع صوتا رفيعا واضحا، "لا تقنطوا من رحمة الله".

تقول زوجة السيد زبيري الأمير السابق لمحافظة أتك، أن المرحوم أخبر أخته أن في زمن الخليفة الرابع رحمه الله كان مقيما عندها وكان على وجهه آثار قلق ما، فلما سألته قال: عندي محاضرة ولم أستطع تحضيرها جيدا. وفي صباح اليوم التالي كان فرحانا بشوشا، ولما جلس لتناول الفطور قال زارني ليلا سيدنا الخليفة الثالث رحمه الله وأملى عليه محاضرة كاملة خلال مدة قصيرة، فمحاضرتي الآن جاهزة والحمد لله. ولتوكله على الله ﷻ عاش أحمديا وحيدا في القرية لسنين طويلة بكل اطمئنان، مع أنه كان محاصرا من قبل الأعداء. فلم يكن يخاف ولا يجزن وكان شجاعا باسلا. كان يقول **إنه** لا تتحرك ورقة دون إذن من الله. ذات يوم أراد أحد خدامه أن يردّ السائل فنصحه قائلا إذا كان الله ﷻ يريد أن يجعلني وسيلة لأحدهم، فمن أنا حتى أردته. كان قادرا على الحديث حول كل مسألة علمية. وكان قد قرأ كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عدة مرات، فكان بفضل الله جامع الصفات ويداوم على الصيام والصلاة وقيام الليل وكان كثير الدعاء، وكان يتكلم بمنتهى الحكمة، وكان ينهي كل حديث له على نشر الدعوة. تغمده الله برحمته وغفر له.

الذكر التالي للسيد عبد القيوم من إندونيسيا، فقد توفي في الخامس والعشرين من أغسطس عن عمر يناهز اثنين وثمانين سنة. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان نجل المرحوم مولانا عبد الواحد السماتري الذي كان أول داعية أحمدي من خارج الهند وباكستان.

كان المرحوم قد نال أولا شهادة البكالوريوس من مدرسة تقنية في الهندسة الكيماوية، ثم سافر إلى فرنسا للدراسات العليا بمنحة حكومية، ونال شهادة الماجستير هناك في اقتصاد البترول، وتوظف في وزارة موارد الطاقة والمعادن، وشغل شتى المناصب، وكان يُستشار في تخصصه حتى بعد التقاعد. ثم يوم كان عمره

ثلاثة وسبعين عاما نال شهادة الدكتوراه في الهندسة الكيماوية ببذل الجهود المضنية، من جامعة إندونيسيا. لقد قام بإنجازات كثيرة من أجل وطنه. في عام ١٩٧٣ اقترح على الحكومة معادلة الغاز الطبيعي المسال، ويقال **إن** الحكومة ربحت بسببها مائة وعشرة بلايين دولار من عام ١٩٧٤ إلى عام ٢٠٠٠. فالأحمدي يستعد كل حين وآن في كل مكان لخدمة الوطن والقوم، لكن في إندونيسيا أيضا تكون معارضة الأحمدي شرسة في بعض المناطق **بتأثير** **تأثر** بالمشايخ، ومع ذلك من واجبنا أن نبقى أوفياء للوطن. حاز المرحوم أعلى جائزة مدنية في الدولة، وفي ٢٠٠٥ نال ثاني أكبر جائزة تعطيها الحكومة أولئك الذين يقومون بإنجاز كبير في أي قسم خارج الجيش الأندونيسي، وتدفعهم في مقبرة تُقام فيها مراسم عسكرية، ولكن المرحوم ما كان يريد أن يُدفن هناك لذا عُقدت تلك المراسيم العسكرية على وفاته في مقبرة الموصين بـ "بروم" ودفن بكل إكرام. كان المرحوم محبا ومهتما بإخوته وأخواته. كان أبوه أوصاه بأن يهتم بإخوته وأخواته، فعمل بهذه الوصية دوما. وكان يعامل الدعاة وواقفي الحياة باحترام بالغ. وأخوه الصغير السيد باسط أيضا داعية وأمير الجماعة في إندونيسيا. وكان المرحوم يعامل العاملين تحته معاملة حسنة للغاية. قال أحد خدامه: كفلني المرحوم منذ أن كنت في التاسعة من عمري، وكان يدفع رسوم المدرسة ويتحمل نفقات أخرى، وبسبب معاملته الحسنة وبعد قراءة كتب المسيح الموعود **عليه السلام** بايعت. كان كرم المرحوم وجوده عظيمين، وكان يعامل الناس بالحسنى دوما، ولم يكن يتباهى ولا يفتخر على منصبه الكبير. قال أحد العاملين معه في شركة الغاز الحكومية: كان المرحوم فطينا للغاية وثابتا ومجتهدا، وكان مسؤولا كبيرا ومشهورا جدا ومع ذلك كان يتحلى بغاية التواضع. كان يحب الخليفة والجماعة كثيرا. وكلما احتاجت الجماعة إلى تضحية مالية أو واجهت مشاكل كان المرحوم يقدم المساعدة بكل إخلاص. حين زار الخليفة الرابع رحمه الله تعالى إندونيسيا أقام في بيت المرحوم. وأثناء عمله بصفته موظفا حكوميا لم يخف قط من أحمديته ولا بعد تقاعده، مع انه واجه معارضة أشد بعد التقاعد ولكنه لم يخف من ذلك قط. وكان نشيطا في تبليغ أصدقائه رسالة الأحمديّة، وكان يُعرف كشخصية أحمديّة بارزة. مرة قال مسؤول شركة كهربائية للوزير إن ماء السد **يخف** باستمرار ولو استمر هكذا لفترة قليلة سنضطر لقطع الكهرباء فقال له الوزير الذي كان يؤمن بالدعاء: اذهب إلى السيد قيوم. فجاء المسؤول إلى السيد قيوم وطلب منه المساعدة، فرد عليه السيد قيوم قائلا: إذا كنت تريد المساعدة مني فاكتب بواسطتي إلى خليفة المسيح إمام الجماعة للدعاء، فكتب الرسالة. قال: كتب هذه الرسالة يوم الثلاثاء وفي اليوم التالي نزل مطر غزير وامتأ السد.

وخدماته للجماعة هي كالتالي: في منطقة بارون كانت الجماعة تواجه مشاكل مادية في بناء مركز، وكان رئيس التبليغ حينها السيد "محمود تشيمه" فذكر للمرحوم هذا النقص المالي والمشاكل، فقال المرحوم: لا

تقلق، سأتحمل جميع التكلفة، فأدأها، فبني مسجد كبير هناك خلال سنتين. وكذلك أدى معظم التكاليف لدار الضيافة المركزي وشقق الدعاة، تحمل كل تكلفة البناء لأربعة شقق للدعاة، وكذلك تحمل هو وزوجته جميع النفقات لأيم تي ايه الإندونيسية في أيامها الأولى، وكان بيته الواقع في غرب جकारته يُستخدم كإستوديو لأيم تي ايه. وحتى أن رواتب العاملين أيضا تُدفع من قبل المرحوم. وفي الأيام الأولى لعيادة هوميوباثي في إندونيسيا كانت أسرة المرحوم تتحمل جميع نفقاتها بما فيها الأدوية ومكان العيادة. وأكبر نصيب لتكلفة بناء المدرسة الثانوية الأولى أيضا كان من عطايا أسرة المرحوم. ودار الضيافة الإندونيسية التي هي قيد البناء باسم "سرائي أيوب" في قاديان قدم المرحوم فيها أيضا تضحية مالية ممتازة. واشترى المرحوم قطعة كبيرة من الأرض حول مركز الجماعة، ثم وهبها للجماعة.

كتب السيد معصوم أحمد عميد الجامعة الأحمدية في إندونيسيا: في بعض الأحيان كان نقاش طويل يدور في اجتماع الهيئة العاملة ولكن الأمير -الذي هو أخوه الصغير- حين كان يقول: يجب إنهاء هذا النقاش الآن فكان المرحوم يسكت فوراً ولا يضيف شيئاً في رأيه. رحمه الله تعالى وغفر له.

والجنازة التالية هي للسيد داؤد رزاق يونس من بنين الذي توفي في ٢٧ آب/أغسطس عن عمر يناهز ٧٤ عاماً. إنا لله وإنا إليه راجعون. كان من الأحمديين الأوائل في بنين. وكان أحمديا وحيدا في بيته. في ١٩٦٧ قبل الأحمدية عن طريق أخيه الكبير السيد ذكر الله داؤد الذي كان أول أحمدي في بنين. زوجته وأولاده ليسوا أحمديين فدعو الله تعالى أن يوفقهم لقبول الأحمدية. كتب ميان قمر أحمد أمير الجماعة والداعية المسؤول في بنين: إن المرحوم أخبرني بواقعة قبوله الأحمدية قبل بضعة أيام من وفاته فقال: بلغني أن أخي ذكر الله داؤد قبل الأحمدية في نيجيريا ومع ذلك سمعت من الناس أشياء كثيرة عن الجماعة الأحمدية فذهبتُ إلى أخي ورأيتُه لابساً خاتماً مكتوب فيه "أليس الله بكاف عبده"، فسألتُ أخي ما هذا الخاتم؟ وما قيمته في دينكم؟ فقال: مكتوب في هذا الخاتم آية من القرآن المجيد: أليس الله بكاف عبده، وهذا ما علمنا مؤسس الجماعة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام. ثم سألتُ أخي هل الأحمدية دين مختلف عن الإسلام؟ فقال: الإمام الذي تنتظره قد أتى، ونقول: هذا هو الإسلام الحقيقي. قال: بعد ذلك قرأتُ كتب المسيح الموعود عليه السلام وبعد قراءة الكتاب "فلسفة تعاليم الإسلام" قبلتُ الأحمدية. كان المرحوم من الأحمديين المثقفين في بنين، كان حصل شهادة ماجستير في إدارة الأعمال من فرنسا. وتقاعد من منصب المدير الوطني للكهرباء والماء، وكان **المرحوم ذا لحية وشخصيةً وجبهةً وملتصيةً قويةً ومحترمةً**. وكان ملتزماً بالصلوات والتهجد وصالحاً ومخلصاً، وكان يحب المسيح الموعود عليه السلام وخلفاءه جدا ويقراً كتبهم بالتزام. تقلد

مناصب عديدة في الجماعة وله خدمات كثيرة لجماعة بنين. وكان الرئيس الأول لمنظمة الإنسانية أولاً، وكان يعقد ورشات طبية ويذهب مع الأطباء بنفسه ويخدم الإنسانية من دون أكل وشرب طوال النهار. قال الدكتور قمر علي: لقد وجدتُ فرصة الخدمة في بنين كطبيب، كان المرحوم أثناء الورشات الطبية يتعب أو ينام متأخراً بسبب السفر ومع ذلك كان يصلي صلاة التهجد الطويلة، وكلما استيقظتُ في الليل رأيتَه يصلي صلاة التهجد. وإذا ألقى خطاباً دعا بكل حرقه إلى العمل بشروط البيعة. هذا قول الداعية مظفر أحمد ظفر بأن المرحوم كلما ألقى خطاباً نصح فيه بكل حرقه بضرورة العمل بالشروط العشرة للبيعة. وكان يقول لي: كل أحمدي لم يفهم معنى إلهام المسيح الموعود عليه السلام هذا "أليس الله بكاف عبده" إنسان مادي.

قال أمير الجماعة: قد وهب المرحوم ٣٠ فداناً (acre) من الأرض للجماعة في ٢٠٠٦، وقلتُ له أتمنى أن تبني مبنى مدرسة التحفيظ في بنين وقبها للجماعة فقال مبتسماً: إن شاء الله. وقد بدأ التتعمل في هذه المدرسة. كان المرحوم يقول: إذا درس أولاد الجماعة وتثقفوا لأصبحت جماعة بنين من الجماعات الكبيرة في أفريقيا، وكان يُعطي الأولاد كتب الجماعة الثمينة في الجوائز. حين زار دار الأيتام للجماعة "بيت الإكرام" نصح مسؤولها الدكتور وليد بأن يهتم كثيراً بصحة هؤلاء الأولاد لأنهم أولاد الجماعة وأولاد الشعب ونحن جميعاً آباؤهم. ودعا لهم أيضاً. غفر الله له ورحمه، ورفع درجات جميع هؤلاء المرحومين. وكما قلتُ سأصلي عليهم صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة.